

المنشآت المعمارية المائية في الجزائر
العهد العثماني (نموذج - الخبرة)
د.خديجة نشار *

يعتبر الماء عنصرا أساسيا للحياة، لذا نجد أن المجتمعات في كل الفترات اعتمدت على طرق عديدة لإستغلال و صرف هذه المياه.

تتحكم طبيعة التضاريس و كمية الأمطار المتساقطة سنويا في الشبكة المائية لمدينة الجزائر. إن تضاريس المنطقة تتكون من هضاب تنحدر من الجهة الشمالية الشرقية على ساحل البحر و من الجهة الجنوبية الغربية على سهل متيجة.

إن مياه الأمطار هي المصدر الأساسي لتزويد الشبكة المائية الجوفية، علما أن نسبة الأمطار المتساقطة سنويا تتراوح ما بين ٦٠٠ مم و ٨٠٠ مم. دراسات P.SELTLER تعطينا بعض الإحصائيات التي تخص نسبة تساقط الأمطار في مدينة الجزائر و ضواحيها :

- ١- محطة مدينة الجزائر : ٧٧٦ مم
- ٢- محطة بوزريعة : ٧٦٢ مم
- ٣- محطة الحراش : ٦٧٢ مم

عرفت الجزائر نظام محكم، خلال الفترة العثمانية في طريقة توزيع المياه، سواء كانت مياه الأمطار أو الآبار أو غيرها. كانت تنتوزع على الجزائر شبكة مائية لتسيير وإيصال هذا المورد إلى السكان بشتى الطرق و الوسائل، مثل القنوات، القنوات، الصهاريج (الجب)، العيون و الآبار.

توجد في منطقة بوزريعة (أعلى نقطة عن مستوى سطح البحر) عدة مباني فخمة تحيط بها بساتين و مزارع، ترجع إلى عائلات غنية أو ذات مكانة في الحكم العثماني.

إن المعلم الأثري المتواجد " بجنان الفسيان " و الذي يرجع تاريخه إلى نهاية القرن ١٨ م، يتكون من آثار لمبنى فخم (قصر) أعلى ربوة و أسفل المنحدر يوجد مبنى آخر يطلق عليه إسم " الخربة " يمر بجواره وادي بني مسوس.

يوجد بداخل هذا المبنى عنصر مائي طبيعي، كانت و لازالت تعتمد عليه العائلة للشرب كما كانت تستعمل هذه المياه ، عند فيضان الحوض من الماء، لسقي المساحات الزراعية القريبة منه.

وصف المبنى :

دراسات في آثار الوطن العربي ٧

يحتوي المبنى على مدخل رئيسي من الجهة الشمالية الشرقية يوصلنا مباشرة إلى العنصر المائي (صورة رقم ٠١) و مدخل ثانوي في الجهة الجنوبية الشرقية يؤدي إلى الطابق (الدور) الأول الذي يحتوي على غرفة ذات فتحة تطلو المدخل الرئيسي (لم يبق من الجزء العلوي إلا آثار للجدران و الشرفة).

الطابق الأرضي :

يتكون من مساحة مستطيلة تحتوي على صهريج تحيط من جهاته الثلاثة ممرات ضيقة و ممر أوسع يفصل ما بين الصهريج و المبنى المربع الشكل الذي أنجز بغرض حفظ ماء العنصر المائي (صورة رقم ٣) نصل إلى الحوض المربع الشكل بواسطة ممر مبلط بأحجار عريضة غير ثابتة (صورة رقم ٤) ، تغطي قناة صرف المياه عند فيضانها من الحوض نحو الصهريج. تحيط بالحوض من جهاته الثلاثة مسطبة (صورة رقم ٥) تعلوها جدران تتوسطها خزائن جدارية ذات شكل إهليلجي (صورة رقم ٧-٨) و سقف المبنى على شكل قبة.

تكسو أرضية المسطبة بلاطات سداسية الأضلاع ذات لون أحمر بالتناوب مع مثلثات بطلاء أخضر تكون شكل نجمة (صورة رقم ٩).

في الجهة الجنوبية الشرقية من الممر الواسع نجد دكانة للإستراحة مغطات ببلاطات خزفية.

أما الصهريج (صورة رقم ١٠) يتوسطه عمود رخامي، كما نلاحظ أثر لمجموعة من الأعمدة تحيط بالصهريج ، ننزل بداخله بواسطة سلم ذو خمسة درجات لتنظيفه، و يوجد بجداره الشمالي الشرقي فتحة لصرف الماء الفائض خارج المبنى لسقي البساتين (صورة رقم ١١).

يعلو المبنى جدار حوافه على شكل هرمي (صورة رقم ١٢-١٣) و أركانه مزينة بشرفات (صورة رقم ١٤).

إن طريقة و تقنية و مواد البناء المستعملة في هذا المبنى تنطبق مع المباني التي ترجع إلى الفترة العثمانية في الجزائر (حجارة، رخام، آجر و بلاطات).

نلاحظ أن المنشآت المائية قد تكون شخصية أو عمومية يستفيد منها الإنسان و المجتمع بصفة عامة، و نظرا لأهميتها وجدت خلال الفترة العثمانية إدارة لصيانتها و الحفاظ عليها من طرف " خوجة العيون " .

BELHAMISSI , M. Histoire d'Alger par ses eaux 16eme – 19eme Siècle. Alger 1994

ESQUER, G. Iconographie de l'Algérie du 16^{eme} siècle à 1871 Paris 1929.

GOLVIN, L. palais et demeures d'Alger à la période Ottomane. Paris 1988.

GUIAUCHAIN, G. Alger Alger 1909

KLEIN, H. Feuilletts d'El – Djazaïr. 7 Fascicules Alger 1910 – 1914. Reunion en 1 seul volume 1937.

SAÛDOUNI , N. Feuilletts Algérienne , et études et recherches en histoire Algérienne. 1^e ed. Dar El-Gharb El-Islami 2000.

VENTURE DE PARADIS – Alger qu 18^{eme} siècle Alger 1898.











